Türkiye Diyanet Vakfı
Kütüphanesi
İslâm Ansiklopedisi

نصوص صوفية غير منشورة

لشقيق البلخي - ابن عطاء الأدمي - النفري

حققها وقدم لها
بولس نويا اليسوعي
عضو المركز الوطني للابحاث العلمية في باريس

الطبعة الثانية

دار المشرق ش م م
ص.ب: ٩٤٦ ، بيروت - لبنان

محتويات الكتاب

	صفحة
١ – آداب العبادات لشقيق البلخي	١٣
٢ – تفسير ابن عطاء الأدمي	٢٣
٣ – نصوص غير منشورة للنفّري	١٨٤

ISBN 2-7214 - 5495-0

© Copyright 1973, DAR EL-MASHREQ PUBLISHERS
P.O.B. 946, Beirut, Lebanon

جميع الحقوق محفوظة : **دار المشرق** – بيروت

التوزيع : **المكتبة الشرقية** ، ساحة النجمة ، ص.ب. ١٩٨٦ ، بيروت ، لبنان

توطئة

ننشر هنا لأول مرة ثلاثة نصوص صوفية كنّا قد درسناها في كتابنا الفرنسي « التفسير القرآني واللغة الصوفية » . رغم انه لا علاقة ظاهرة بين هذه النصوص ، فاننا جمعناها في كتاب واحد لانها تمثل ثلاث مراحل في طريق نشأة اللغة الصوفية .

فالنص الأول — وهو كتاب « آداب العبادات » لشقيق البلخي (٨١٠/١٩٤)— يرجع بنا الى العهد الأول من نشأة اللغة الصوفية ، في مرحلة لم يكن في متناول يد الصوفي الا القرآن كي يعبّر من خلال لغته عن تجربته الصوفية . فالتجربة هنا لا وجود لها الا بقدر ما يساعدها القرآن على الوجود . بعبارة اخرى ، التجربة الصوفية عند شقيق البلخي وليدة تفكّره في القرآن ، مندمجة في هذا التفكر . لذا نراه يشتاق الى الحور وينزع الى محبة الله لأن الشوق والمحبة من لغة القرآن الدينية .

أما النص الثاني فهو تفسير ابن عطاء (٩٢٢/٣٠٩) للقرآن . وابن عطاء صوفي من مدرسة بغداد ، صديق للحلاج ، عاش بعد دخول الفلسفة اليونانية الى العالم الاسلامي وانتشار التيارات القرمطية والاسماعيلية . هذا يعني ان التجربة الصوفية عند ابن عطاء بلغت أشدّها : لها كيانها الخاص ولغتها الخاصة بما فيها من عبارات واشارات ورموز تخلقها التجربة الروحية كقالب تتجسد فيه وتأتي به الى الوجود . في هذه المرحلة اصبحت التجربة خلاّقة تأتي بمعطيات جديدة لم تكن في القرآن وتساعد الصوفي على النظر الى كل شيء نظرة تأويلية أصيلة . لذلك فهي تخلق بين الصوفي والقرآن صلة جديدة هي الاستنباط ، اي ان التجربة الروحية تلقي على النص اضواء جديدة فتصبح طريقة خاصة لفهم معانيه « واستنباطها » اي جرّها الى الوجود من اعماق ليست الا اعماق التجربة التي

عاشها الصوفي . يقول ابن عطاء : « لا يفهم إشارات القرآن الا من طهّر سرّه عن الاكوان وما فيها » (في ٥٦ : ٧٩) . اذن فهم القرآن ليس قضية لغة ولا علم ، بل هو منوط بتطهير السر عن الاكوان . الصوفي يفهم القرآن عن طريق تحقيق معانيه في حياته . بقدر ما يفهم هذه المعاني يحققها ، وبقدر ما يحققها يفهمها : هذه ديالكتيكية مؤسسة على مبدإ العودة دوماً من النهاية الى البداية بغية انطلاق جديد من البداية الى النهاية . فبداية القرآن التجربة ونهاية التجربة القرآن . لأن التصوف اصبح في هذه المرحلة حواراً بين التجربة والقرآن ، كل واحد منهما يفسّر الآخر . وتكون النتيجة الوصول الى المرحلة الثالثة التي يمثلها النص الأخير الذي ننشره وهو القسم غير المنشور من تآليف محمد النفري (منتصف القرن الرابع الهجري) .

النفري يعدو طور التفكير في القرآن ليخاطب الله مباشرة او بالحري ليخاطبه الله كجليس له . ولكن متى ما وصلت التجربة الى هذا الحد ، استوى النطق والصمت لان الصوفي دخل في حدود « ما لا ينقال » : « أوقفني في ما لا ينقال وقال لي : به تجتمع فيما ينقال » . واذا كان غير المقول يجمع على المقول ، فان « المواجيد بالمقولات كفر على حكم التعريف » . لذا فلسان التعبير ولغة التعريف منفصلان هنا عن كل شيء ، حتى عن القرآن . والصوفي يخلق لغة ينفي كيانها في فعل خلقها كأداة ضرورية ولكن غير مناسبة لما لا ينقال . « وقال لي : الحرف يعجز ان يخبر عن نفسه . فكيف يخبر عني ؟ » . هنا سر الحيرة التي تأخذنا ونحن نقرأ « مواقف » النفري ومخاطباته مع الله : لغة متكسّرة وان كانت رائعة ، لسان مبهم وان كان منوّراً ، تعبير متقطع هو قفز من قمة الى قمة فوق هاوية هي — بالنسبة الينا — الفراغ الذي لا تستطيع عقولنا ان تملأه ، بينما هي — بالنسبة الى النفري — العمق الذي يربط قمم التجربة ويخلق فيها التواصل .

مع النفري تصل التجربة الصوفية الى أقصى حد يمكن فيه النطق عما لا ينقال والصمت عما ينقال : « وقال لي : بين النطق والصمت برزخ فيه قبر العقل وفيه قبور الاشياء » .

***

ولنختصر هنا ما كتبناه في مقدماتنا الفرنسية عن المخطوطات التي اعتمدناها في اخراج هذه النصوص :

١ — كتاب « آداب العبادات » ، لا نعلم له الا مخطوطة واحدة ، وهي في خزانة توبكابي ، أمانة رقم ١٧٦٢ ، ص ١٥٩ ب — ١٦٣ أ . وهي مجموعة تحتوي على عدة رسائل صوفية كلها بخط نسخي واحد قديم جداً . ولكن المخطوطة غير مؤرخة ، وهي مكتوبة بخط واضح مشكل ، والنص جيد بحيث يمكن اخراج رسالة شقيق دون الاحتياج الى مخطوطة اخرى .

٢ — أما تفسير ابن عطاء ، فقد وصل الينا عن طريق ابي عبد الرحمن السلمي الذي ادخله في كتابه « حقائق التفسير » . وقد جمعناه واستخرجناه من هذا الكتاب ، معتمدين في تحقيق النص على أربع مخطوطات هي :

ب : بايزيد رقم ٥٥٤ ، منسوخة سنة ١٢٩٢/٦٩١ بخط نسخي جميل . عدد الاوراق ٣٣٧ في حالة جيدة .

ف : فاتح رقم ٢٦٠ ، بلا تاريخ (من الجيل السابع عشر) ، منسوخة بخط نسخي ناعم صعب القراءة ؛ عدد الاوراق ١٦٤ في حالة جيدة .

ح : فاتح رقم ٢٦١ ، منسوخة سنة ١٢٠٤/٦٠٠ بخط نسخي جميل مشكل ؛ عدد الاوراق ٣١٤ في حالة جيدة .

ي : يكي جامع رقم ٤٣ ، بلا تاريخ ، ولكنه يحمل إجازة بتاريخ ٧٧١/ ١٣٦٩ ؛ عدد الاوراق ٣٨٣ . مكتوب بخط مهمل غير مشكل ، ولكن النص جيد يعتمد عليه في المواطن الغامضة لان كاتبه عالم باصطلاحات الصوفية .

٣ — أما قطع النفري الغير المنشورة فقد قسمناها الى خمسة اقسام حسبما اتت في المخطوطات التي اعتمدناها وهي :

ب : بورسا ، اولو جامع رقم ١٥٣٦ (= ٢٣١٩ قديماً) وهي تحتوي ، علاوة على المواقف والمخاطبات التي نشرها المرحوم أربري ، على قطعتين من القطع

المنشورة هنا : الواحدة بعنوان « باب الخواطر واحكامها» (ص ٤٤ أ — ٤٤ ب) ، والأخرى بعنوان « ومن خصائص كلامه الغريب في المحبة » (ص ٦٤ ب — ٦٧ أ) . وقد كتبت المخطوطة سنة ١٣٣٤/٧٣٤ بخط نستعليق مهمل صعب القراءة . ويلاحظ ان القطعة الاولى قد نسخت مرتين (ص ٦٣ أ — ٦٤ ب) لذلك استعملنا رمزين: ب١ وب٢ .

ق : قونيا ، يوسف آغا ٥٩٢٥ : مخطوطة ثمينة لان كاتبها اسماعيل بن سودكين (١٢٤٢/٦٤٠) ، وقد كتبها باعتناء . ولكن الدهر قد عمل في المخطوطة؛ فُقد قسم منها ، والقسم الآخر جمع بلا ترتيب في مجلد . وقد حاولنا في المقدمة الفرنسية ان نشير الى مكان كل قطعة بالمقارنة مع مكانها في المخطوطات الأخرى .

م : حجي محمود رقم ٢٤٠٦ وهي مخطوطة حديثة غير موثرخة . تشمل جميع تآليف النفري في ٢١٣ ورقة . وقد كتبت بخط نستعليق واضح الا ان الكثير من الكلمات غير محرّك .

ط : طهران ، مكتبة ملك رقم ٤٢٦٣ ؛ نسخة ثمينة كتبت سنة ٦٦٢/ ١٢٦٣ بخط نسخي جميل وواضح في ١٦٩ ورقة تحتوي على جميع تآليف النفري .

ويلاحظ ان العلاقة بين م وط واضحة بحيث يمكن القول ان م ليس الا صورة لنسخة ط التي يمكن ان تكون الأصل المباشر .

أ : هذا الرمز يشير الى بعض القطع التي نشرها الاستاذ أربري في مجلة الدراسات الاسياوية الافريقية (مجلد ١٥ ص ٢٩—٤٢) والتي كان قد اكتشفها في مكتبة جستر بتي الارلندية . وقد أعدنا نشرها هنا لما فيها من نواقص يمكن اجتنابها بواسطة مخطوطاتنا الاخرى .

وفي نهاية هذه التوطئة يسرّنا ان نشكر جميع الذين ساعدونا في الاكتشاف على المخطوطات او سمحوا لنا بنشرها .

بكفيا — ١٩٧٢/٧/١٢

I

TEXTES INÉDITS

DE

ŠAQĪQ AL-BALḪĪ (m. 194/810)

ĀDĀB AL-ʿIBĀDĀT

ET

MANĀZIL AL-ṢIDQ